

متابعات أبو يعقوب السكاكي لنظرية النظم للجرجاني

سؤال المعنى ومعنى المعنى

Follow-up given by Abu Yaqoub al-Saqaqi to al-Jarjani's systems theory,
the question of meaning and the meaning of meaning

هامل لخضر*

جامعة أحمد زبانة غليزان. lakhdar.hamel@univ-relizane.dz

تاريخ الإرسال 2024-01-23 تاريخ القبول 2025-02-16 تاريخ النشر 2025-03-16

ملخص البحث.

يعتبر أبو يعقوب السكاكي ت 626 هـ من العلماء القلائل الذين تركوا أثرا لا يمكن تجاهله في الدراسات اللغوية في عصره، وعبر الأجيال المتلاحقة إلى يومنا هذا، ويرجع الفضل في هذا "الخلود" إلى الفريدة التي انمازت بها دراسته للغة، فابتعاده عن الطرق التقليدية السابقة، وتنظيمه المحكم الذي افتقرت إليه المؤلفات السابقة، وتسلسل طرحه الذي جاء متأثرا بالطرح المنطقي، وبخاصة بناءه على ما انتهى إليه غيره من العلماء، وبخاصة عبد القاهر الجرجاني في نظرية النظم، رفعت سهم مؤلفه (مفتاح العلوم) ليكون مصدرا مهما من مصادر الدراسات اللغوية القديمة، إن لم نقل أنها شكلت علامة فارقة في تأريخ الدرس اللغوي العلمي للغة العربية. ومن أهم القضايا التي تابع السكاكي فيها الجرجاني، قضية المعنى ومعنى المعنى وقضايا المتلقي والدلالات. وتمثل إشكالية الدراسة في بيان الطرح الذي قدمه السكاكي لمفهوم المعنى ومعنى المعنى في مقابل ما قدمه قبله الجرجاني في نظرية النظم. وبيان ما وافق فيه السكاكي لمفهوم المتلقي والدلالات مع الجرجاني، وما قدمه من طرح يتباين واجتهادات الجرجاني. الكلمات المفتاحية: السكاكي - الجرجاني - النظم - البلاغة - المعنى - معنى المعنى - الدلالات - المتلقي.

ABSTRACT

Abu Ya`qub al-Sakaky is considered one of the scholars who left a great impact in ancient and modern linguistic studies, and the merit is due to the distinction of his study of the traditional ones, to the tight organization of its language, his departure from the methods author and to the sequence of his proposal which was influenced by the logical proposal and based on what others have concluded Among scholars, especially Abdel-Qaher Al-Jarjani in systems theory, all of this has elevated the part of its author (mfifah aleulum) to be an important source of ancient linguistic studies, and remains eternal in the history of the scientific linguistic study of the Arabic language. Among the most important questions in which Al-Sakaki followed Al-Jarjani, the question of meaning, the meaning of meaning, and the problems of recipient and indications

language- systems theory- meaning. – Al-Jarjani -Abu Ya`qub al-Sakaky the key words:

1. المقدمة

ينطلق أبو يعقوب السكاكي في دراسته البلاغية واللغوية، من الموضوع التي انتهى إليها الجرجاني في طرحه لنظرية النظم، والتي كانت بالأساس، نظرية لبيان مكنم الإعجاز القرآني، من خلال بيان جمالياته وأسراره في نظمه وأسلوبه وصياغته، والرد على مخالفه، إلا أنّ المنهج الذي سلكه الجرجاني في نظريته كان مداره حول بيان وجه الإعجاز في آي القرآن الكريم، من خلال البحث في أسرار الجمال اللغوي، والحسن السبك، والمزايا البيانية التي تكمن خلف الألفاظ القرآنية، بالإضافة إلى معاني النظم القرآني، واهتمامه بهذا الجانب، صرفه كما يقول عبد الله صولة عن تسليط الضوء على القيم الأخلاقية، التي تحملها تلك الآيات، وغضّ الطرف عن الأبعاد الحجاجية، التي من أجلها استجلبت تلك المعاني¹. أي اهتمامه بالشكل مقابل المضمون الأساسي الذي أنزل القرآن الكريم لأجله. والبحث في مكانم الإعجاز في القرآن الكريم، يمر عبر قضية مفصلية، ألا وهي طبيعة التحدي في القرآن الكريم، أو الوجه الذي يقع به التحدي، كما سماه عبد الله صولة، الذي يعتبره السبب الرئيس، لاختلاف الناس في بيان النكت التي بها الإعجاز²، فمن الحقائق الثابتة في القرآن الكريم أنّه لا توجد في القرآن نفسه آية صريحة، ولا حتى إشارة، إلى كونه أحسن النظم ولا عجيب الصياغة، ولا بديع الأسلوب، ولا جميل السبك، بل ورد قوله تعالى في وصف القرآن الكريم أنّه (أَحْسَنَ الْحَدِيثِ)³ و(قُرْآنًا عَجَبًا)⁴ والحسن الحديث والعجب يندرج ضمن أغراض القرآن المتنوعة، وأخباره الغيبية، وغير ذلك⁵. والحاصل أنّ القرآن الكريم، تحدى العرب على أن يأتوا بمثله، أو بعشر سور مثله، أو سورة واحدة، لكنه لم يحدد طبيعة التحدي، هل في الإتيان بنظمه؟ أم بلفظه وسبكه؟ أم بأخباره وقصصه؟ أم في أسلوبه؟ أم في وظيفته ومهمته؟ أم في كل هذا وغيره معاً؟. لكن ما يمكننا تقريره فعلاً، هي حقيقة القرآن الكريم بوصفه كتاب إصلاح أساساً، وهو جواب عن سؤال الأمة، وحلاً للخلافات قائمة، ومن هنا فإنّ القرآن الكريم كتاب عربي مُعَيَّر ومُؤَثَّر على النفوس⁶.

وهذه القضية هي التي شكلت نقطة فارقة، انطلق منها السكاكي في دراسته للبلاغة، حيث ربط البلاغة بالمنطق، بحيث تمكن من تنظيم أقسامها، عبر جهد اقترن فيه التجميع بالتصنيف⁷، وعبر آلية التعريف والترتيب المنطقي المنظم، فقد عدّ الجابري كتاب المفتاح بمثابة الأورغانون في الدراسات البيانية العربية، وعلل ذلك بقوله: أنّ كل ما كان يربط السكاكي بأرسطو هو أنه عمل على ضبط وتقنين العلوم البيانية العربية، مثلما عمل أرسطو من قبله، على ضبط وتقنين العلوم الفلسفية اليونانية⁸. فقد بدأ بمثيرات الخطأ، على اعتبار أنّ هدفه من التأليف والتصنيف، هو الحدّ من الخطأ في اللغة، وتسهيل تعليمها، وصون كتاب الله تعالى، وتسهيل عملية دراسات النصوص والخطابات وصياغتها⁹. ومن أجل ذلك قسم مثيرات الخطأ، إلى ثلاثة أقسام المفرد – التأليف – المركب مطابق لما يجب أن يتكلم به، بداية من الجزء إلى الكل، أو من المفرد إلى المركب، فذكر على علم الصرف باعتباره يعالج مثيرات الخطأ المفرد، ثم يعلم النحو باعتباره يعالج مثيرات الخطأ في التأليف، ثم ذكر علم المعاني وعلم البيان، باعتباره يعالج مثيرات الخطأ، المتعلقة بمطابقة الكلام المركب لما يقتضي حال ذكره، وانتهى بعلوم مساعدة كالحدود والاستدلال والمنطق وغيرها¹⁰، فجعل تمام علم النحو، علم المعاني وعلم البيان،

وتقام علم المعاني وعلم البيان الحدّ والاستدلال، فيقول: وأوردت علم النحو بتمامه، وتمامه بعلمي المعاني والبيان، ولقد قضيت بتوفيق الله منهما الوطر، ولما كان تمام علم المعاني بعلمي الحد والاستدلال لم أر بداً من التسمح بهما¹¹.

وتوظيفه لعلم المنطق، في تعريفه وشرحه وتنظيمه لقضايا البلاغة تبويبا وتقسيميا، أعطى دراسته، بُعدا تنظيميا ومنطقيا غاب عن أكثر الدراسة التي سبقتها، ومن جهة أخرى، فإن تمكنه من المنطق، انعكس على أسلوبه، فصار قليل العبارة كثير الدلالة، يحتاج كلامه لإعادة قراءة وتركيز، بل واستعانة بمؤلفات أخرى تشرح كلامه¹². ومؤلفه (المفتاح) من أكثر المؤلفات التي عنيت بالشرح والتفسير والتهديب.

2. المعنى ومعنى المعنى عند السكاكي.

إنّ اعتماد السكاكي في دراسته للبلاغة، على النتائج التي توصل إليها الجرجاني في مؤلفيه دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة، جعلته يتبنى كثيرا من الآراء البلاغية والنحوية والمنطقية، التي ذهب إليها الجرجاني، كتبنيه لمقولة معاني النحو، التي بلورتها مقارنة عبد القاهر الجرجاني¹³، ومن أهم القضايا التي وافق فيها السكاكي مطارحات الجرجاني قضية المعنى ومعنى المعنى، فالمعنى أو ما أطلق عليه السكاكي مصطلح الاستدلال، وهو من المصطلحات التي تناوشتها أقلام الباحثين من كل العلوم والمعارف¹⁴، فالوصول للمعنى هو جوهر كل نشاط ينتجه الفكر البشري، لذلك ترى أهل المعارف والعلوم، يطاوعونه لخدمة أغراضهم المذهبية والفكرية والعلمية، شأنه في ذلك شأن الحق والحقيقة، والدليل والحجة، وغيرها من المصطلحات التي هي عماد الفهم والإفهام، والتوصيل والتواصل. ومن هنا ندرك معنى أن تكون البلاغة النجاعة التواصلية، هي أساس البلاغة المقامية¹⁵.

لذلك وضع السكاكي تصورا خاصا لمفهوم الاستدلال، يجمع فيه بين الحد المنطقي والمصطلح النحوي، وهذا المنهج الذي وضعه السكاكي في تناوله للبلاغة، أسس به لبناء بلاغة الخطاب، وفق النظام الاستدلالي وليس على المنزع البديعي¹⁶، ومن ذلك أنه جعل أساس الاستدلال على إسناد الخبر للمبتدأ، من خلاله يتم النفي أو الإثبات، ضمن إطار تراكيب الجمل، فيقول: وهو اكتساب إثبات الخبر للمبتدأ أو نفيه عنه بواسطة تركيب جمل¹⁷. والاستدلال لا يقع عنده في الجملة، بل من خلال تراكيب الجمل، فيقول: وقولي بواسطة تركيب جمل تنبيه على ما عليه أصحاب هذا النوع من إباء أن يسموا الجملة الواحدة حجة واستدلالا مع اكتساب إثبات ونفي¹⁸. مع اختلافها في التراكيب، من حيث الاستدلال أو علم المعاني، فعلم المعاني يكون التركيب فيه بهدف تحقيق الخطاب القائم على دلالات معينة، بينما يكون التركيب في الاستدلال، قائم على غاية كسب قبول الشهادة أو ترجيحها، أي الوصول إلى هدف الإثبات أو النفي¹⁹.

ومن ناحية أخرى نجد تصور السكاكي لمفهوم العامل النحوي، يختلف عن تصورات سابقه، فالعامل النحوي من أكثر المصطلحات التي اشتغل عليها النحاة قديما، بل إنّ بعضهم جعل منه نظرية تُردُّ إليها الأحوال الإعرابية، فهو بمثابة المفسر للعلاقات النحوية والتركيبية بين عناصر الجملة اللغوية، كما أنّ العامل يندرج في تعليل

العلاقة من أصغير وحدة لغوية، إلى غاية التراكيب، وتجاوز الأمر عند بعض النحاة فجعلوه سببا للصناعة النحوية المحضة القائمة على أساس من فلسفة العامل والمعمول حيناً آخر²⁰. سواء كان العامل ظاهراً أو مقدراً أو محذوفاً. وقد اشتهر عندهم القول المأثور: (لولا الحذف و التقدير لفهمت النحو حتى الحمير)²¹. والاعتماد على العامل كأداة ضبط للغة والعلامات الإعرابية والوظائف النحوية في إطار التراكيب وعلاقات الألفاظ في الجملة والجملة في الجمل، ودلالة اللفظ عند النحاة الأوائل، هو أمر افتراضي يساعد النحوي على اكتشاف الشكل اللفظي، الذي تقوم عليه أنحاء اللسان العربي، وبواسطة العامل يمكن تفسير طريقة تشكل كل التراكيب العربية، وبالتالي يمكن تحريرها في أقيسة أو قوانين قليلة، لأنّ الهدف الأساسي الذي يسعى إليه النحوي في بحثه، هو التمكن من التحكم في العدد الكبير من الوحدات اللغوية وتصنيفها، ووضع القوانين التي تجري عليها²².

ومن هنا جاء طرح السكاكي لمفهوم العامل النحوي، باعتباره آلية منظمة لكل التراكيب الاستدلالية من خلال العلاقات الإسنادية، أي العلاقة بين المسند والمسند إليه، كإسناد الخبر للمبتدأ، إثباتاً لحكم، أو نفيه، على أن يكون الحكم في الأبنية الخبرية دون الطلبية، إذ لا استدلال في هذه الأخيرة، لعدم وصولها لمرتبة الإثبات والنفي، فليست كل تراكيب الجمل تؤدي وظيفة الاستدلال، والعلاقة الإسنادية بين الخبر والمبتدأ لها حالتين:

01- ثبوت الخبر للمبتدأ بالبديهة إثباتاً ونفياً:

- ففي الإثبات كقولنا: الإنسان حيوان.

- وفي النفي كقولنا: الإنسان ليس فرساً.

02- عدم ثبوت الخبر للمبتدأ إلاّ بطرف ثالث متعلق بهما:

كقولنا: العالم حادث - والحدوث هنا ليس بديهي الثبوت للعالم، ولا بديهي الانتفاء عنه، فيلزم من عدم الثبوت والنفي معاً، لإضافة طرف ثالث، يفيد العلم به أو الظنّ.

فنقول: العالم قرين حادث، فتكون نسبته على الخبر. مثل قولنا: قرين حادثٍ حادثٌ. على أن الاستدلال يكون مفتقراً على جملتين لا أزيد ولا أنقص²³، وجملتي الاستدلال تارة تكون خبريتين معاً، وتارة تكون شرطيتين معاً، وتارة تختلفان خبراً وشرطاً²⁴.

ومن هنا فإنّ المعنى عند السكاكي يندرج ضمن ثلاثة مستويات، وكل مستوى يبنى على الآخر. فهناك مستوى الحروف، ومستوى الكلمات، ومستوى الجمل، فمستوى الكلمات يبنى على الحروف، أي أن تشكل الكلمات يكون من حروف، وللکلمات معان خاصة. أمّا مستوى الجمل فهو يبنى على الكلمات، أي يتشكل من كلمات (قد تكون ظاهرة أو مضمرة ولو كان الظاهر منها حرفاً واحداً و الباقي مضمراً كفعل الأمر من ف و ق و غيرها) وللجمل معان خاصة، بحسب استعمالها، فهي إمّا أن تكون على حسب أصل المعنى، أي حقيقة الاستعمال، لكل كلمة من كلمات الجمل، أو بحسب مقتضاها الظاهر أي العلاقة النحوية، أو بحسب مقتضى الحال، الذي يتناوب بتناوب استعمال الجمل، فيكون إمّا مطابقاً لأصل الاستعمال، أو خارجاً عن الظاهر إلى معان ثانوية²⁵.

3. الدلالات عند السكاكي.

كما نجد السكاكي يفرق بين الدلال العقلية، والدلالة الوضعية التي هي دلالة الكلمة على معناها من باب المواضعة، فيقول: عرفت صحة أن تستعمل الكلمة مطلوباً بها نفسها تارة معناها الذي هي موضوعة له²⁶. أي أنّ معنى الكلمة هو ملازم لها دون الحاجة إلى غيرها لبيان معناها. فإن احتاجت إلى متعلق آخر، مدرك بالذهن، تجاوزت المفهوم الوضعي إلى الدلالة العقلية، أو كما سماها الجرجاني معنى المعنى. والمعنى عند السكاكي هو الذي يحقق الدلالة الوضعية، وهو بهذا يؤدي مفهوم الحقيقة، أما الدلالة العقلية، فهي التي تؤدي مفهوم المجاز، إذ ينتقل المعنى الحقيقي، إلى معنى آخر، متعلق بالذهن، ويتم إخضاع الملزوم إلى اللازم، لوجود قرينة تمنع إيراد المعنى الحقيقي²⁷. أي أن أصل المجاز من التجاوز، وهو التعدي إلى بعد غير البعد الأول، وهنا يكمن البعد الأول في أصل وضع الكلمة لمعنى محدد في اللغة، فإن تعذر فهم المعنى واحتيج معه إلى عنصر غير لغوي لبيان معناها، تجاوزنا الوضع اللغوي الحقيقي إلى الدلالة العقلية، ومثال ذلك أننا لو قلنا:

- أكل الرجل التفاحة . فإنّ دلالة كل كلمة في أصل وضعها اللغوي، تحيل على معنى ظاهر وممكن ومنطقي. فالعنى هنا يفهم بدلالته الوضعية. فالرجل أكل التفاحة، والرجل يستطيع الأكل، والتفاح قابل للأكل، والأكل طبيعة في الرجل.

أما لو قلنا: - أكل الرجل الأرض. فإن المعنى مع صحته نحوي فهو لا يستقيم بحكم دلالة الشيء على مدلوله منطقياً، إذ لا يمكن للرجل أن يأكل الأرض، فلا الأرض تؤكل، ولا الرجل يستطيع أن يأكلها لمخالفة الطبع. وعليه فإننا نحتاج إلى قرينة نتجاوز بها المعنى الأول (الحقيقي) لاستحالته، إلى بُعد آخر (معنى المعنى). فيتحوّل أحد عناصر الجملة إلى غير حقيقته بقرينة عقلية.

- أكل - الرجل - الأرض

فنقول : أما أن الأكل ليس على حقيقته فيصبح حصد أو نهب أو غيرها مما له دلالة عقلية على مفهوم الأكل. أكل الرجل الأرض - نهبها.

أو أن نحول لفظ الرجل إلى الآلة مجازاً، على أن ينسب الفعل إلى الفاعل لا إلى الواسطة أو الآلة. و إمّا أن نتجاوز بالعنصر الثالث و هو المفعول، إلى معنى غير المعنى الحقيقي، بقرينة عقلية، فيصبح معنى الأرض، الغلة والثمار والحصاد وغيرها، فيصبح المعنى.

أكل الرجل الأرض - أكل ثمارها أو غلتها أو غير ذلك، مما له دلالة عقلية على مفهوم ما تنتجه الأرض.

أمّا فيما يتعلق بمستوى الجمل عند السكاكي فهي ما يتألف من كلمات، وتوافق الكلمات عبر دلالاتها المختلفة يُشكّل جملاً، وهذه الجمل هي التي تتم بها عملية التواصل بغايات المختلفة، وتألّف الكلمات وانتظامها مع مراعاة العلاقة بين عناصر الكلام، وتَشكّلها ضمن تركيبين مختلفين، أحدهما يكون لتأدية أصل المعنى مطلقاً، والثانية لتأدية معنى آخر يتجاوز المعنى الأصل، الذي هو معنى المعنى²⁸.

وأصل المعنى إنما هو تركيب مقيد بمعاني النحو المجرد، ولا يعرف صحتها من عدمه من خلال إعمال علم النحو، لذلك جاء تعريف السكاكي للعلم النحو: أن النحو معرفة كيفية التركيب فيما بين الكلم لتأدية أصل المعنى مطلقاً بمقاييس مستنبطة من استقراء كلام العرب وقوانين مبنية عليها ليحترز بها عن الخطأ في التركيب من حيث تلك الكيفية²⁹. وهو بهذا يوافق الجرجاني في كون النحو وسيلة، لدراسة تعالق الكلم بعضه ببعض، فقواعد النحو وأحكامه الصارمة، تعطي ضماناً لتحقيق الغاية، وسلامة تأدية المعنى أو أصل المعنى. والنحو عند القدماء علم يشغل على أحوال تراكيب الكلام العربي، ليُعرف المتكلم باللغة، صحتها وفسادها. فهو علم يهتم بصحة التراكيب اللغوية بناء وإعراباً ليحكم عليها بالصحة والفساد، وهو لا يعدو عندهم حدود البناء والإعراب في أواخر الكلمات، ولا يتخطى عملية الإعراب التي تهتم غاية الإهتمام بالحركات فقط. والتي تؤدي بدورها معنى أصيلاً محدداً لدى المتلقي. وعمل النحوي الفردي ينتهي عند هذا الحد، في إعمال القواعد والأحكام، من أجل ضبط سلامة أصل المعنى، لبدء اشتغال البلاغي، لذلك جعل السكاكي تمام علم النحو علم المعاني وعلم البيان، فالنحو يدرس العلاقة والكيفية، والبلاغي يدرس خواص التراكيب وأغراضه. وهي التي يتحقق بها البيان ومطالبة الفهم والإفهام، وتجاوز أصل المعنى عند السكاكي يقتضي الوصول إلى المعاني المختلفة، وهي مختلفة باختلاف التراكيب، لا يقيدتها سوى المقام، والسياق الذي وردت فيه، وبهذا فالمعاني التي تخضع للسياق هي غير محدودة ولا يمكن ضبطها إلا من خلال غرض المتكلم³⁰. إلا أنّ هذه المعاني المتعددة، تعتمد على أصل المعنى، باعتباره مرجعاً لها في بيان معناها، فعلم النحو يستوعب المعنى الأصلي، ويُقدم ضمن قواعده وأحكامه، أرضية للبلاغي في إدراك المعاني الأخرى، من خلال علم المعاني وعلم البيان، للوقوف على أغراض المتكلم. وعلم المعاني بدوره، يتناول الدرس البلاغي على وجهين:

1- من جهة مطابقة الكلام لحال السامع والمواطن التي يقال فيها: وهي كما يُعبر عنها الجاحظ بقوله: موافقة الحال، وما يجب لكل مقام من المال³¹. ومراعاة حال السامع تقتضي تنويع الخطاب، فليس كل المخاطبين على مستوى واحد من المعرفة والكفاءة اللغوية، وليسوا على درجة واحدة من إدراك الخطاب أو الخبر، إذ ينقسم الناس في هذا المقام كما ذكر عبد العزيز عتيق إلى ثلاث حالات:

الحالة الأولى: أن يكون المتلقي خالي الذهن من الحكم الذي هو مضمون الخبر: وعندها تقتضي القاعدة، أن يخاطب بخطاب مجرد من كل تأكيد.

الحالة الثانية: أن يكون المخاطب على علم بالخبر، ولكنه منكر أو جاحد له: وهنا تقتضي القاعدة أن يؤكد له الخبر، لإزالة الشك وتمكين للخبر في نفسه.

الحالة الثالثة: أن يكون المخاطب على علم بالخبر، ولكنه منكر أو جاحد له: وهنا تقتضي القاعدة أن يكون الخبر مؤكداً، بمؤكد أو أكثر، بحسب درجة إنكار المخاطب، قوة وضعفاً.

وقد أورد الجرجاني حالات مشابهة في قصة التي وقعت بين أبي العباس النحوي والفيلسوف الكندي في كتابه دلائل الإعجاز فقال: روي عن ابن الأنباري أنه قال: ركب الكندي المتفلسف إلى أبي العباس وقال له: إني

لأَجْدُ في كلام العرب حَشْواً! فقال له أبو العباس: في أي وضع وَجَدْتَ ذلك؟ فقال: أَجْدُ العرب يقولون: "عبدُ الله قائمٌ"، ثم يقولون "إِنَّ عبدَ الله قائمٌ"، ثم يقولون: "إِنَّ عبدَ الله قائمٌ"، فالألفاظُ متكررةٌ والمعنى واحدٌ. فقال أبو العباس: بل المعنى مختلفةٌ لاختلافِ الألفاظِ، فقولهم: "عبدُ الله قائمٌ"، إخبار عن قيامه وقولهم: "إن عبدَ الله قائمٌ"، جوابٌ عن سؤالٍ سألَ وقوله: "إِنَّ عبدَ الله قائمٌ"، جوابٌ عن إنكارٍ مُنْكَرٍ قيامه، فقد تَكَرَّرَتِ الألفاظُ لتكثُرِ المعاني. قال فما أَحَارَ المتفلسفُ جواباً³². فالتوكيد ليس غرضاً أساسياً في الخطاب، بل هو حالة تقابلها حالة، ووضع يقتضي وضعاً، وحلاً لمشكلة الإنكار لدى المتلقي، وكما أن الإنكار يكون على درجات، فإنَّ التوكيد يكون على درجات أيضاً، واستعمال المؤكدات بكثرة، دليل على إنكار شديد من المتلقي، أو ضعف في استعمال المخاطب لأدوات اللغة، أو عدم معرفته بحال المتلقي، وهو ما يجليه الاختلاف والتباين بين اقتضاء الحال واقتضاء الظاهر.

4. المتلقي عند السكاكي.

مراعاة السامع أصل في تقديم الخطاب، حتى يتمكن المتلقي من الوقوف على حقيقة المعنى، فلا يرده بجهل، ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره أبو فرج الأصفهاني عن أحمد بن خلاد عن أبيه أنه قال: قلت لبشار بن برد: إنك لتحيي بالشيء المحجين المتفاوت، قال: وما ذاك؟ قلت: بينما تقول شعراً تثير به النقع، وتخلع القلوب، مثل قولك:

إِذَا مَا غَضِبْنَا غَضْبَةً مُضْرِيَةً	هَتَكُنَّا حِجَابَ الشَّمْسِ أَوْ قَطَرَتْ دَمًا
إِذَا مَا أَعْرَنَّا سَيِّدًا مِنْ قَبِيلَةٍ	ذُرَى مِنْبَرٍ صَلَّى عَلَيْنَا وَسَلَّمًا

وتقول:

رَبَابَةٌ رَبَّةُ الْبَيْتِ	تَصُبُّ الْخَلَّ فِي الزَّيْتِ
لَهَا عَشْرُ دَجَاجَاتٍ	وَدِيكَ حَسَنُ الصَّوْتِ

فقال: لكل وجهٌ وموضعٌ؛ فالقول الأول جَدُّ، وهذا قلته في ربابة جارتني، وأنا لا أكل البيض من السوق، وربابة لها عشر دجاجات وديك، فهي تجمع لي البيض، وتحفظه عندها، فهذا عندها أحسن من قولي: قَفَا نَبْكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلٍ عندك³³.

ومراعاة حال السامع تقتضي أيضاً، تصريف الكلام وفق حاجة المستمع ومستواه، من إيجاز أو إطناب، فالمتلقي الذكي، يكتفي بالإشارة واللمحة، فيحسن له الإيجاز، والمتلقي الغبي أو المكابر، يُحسن عند خطابه الإطناب³⁴. فالإيجاز أسلوب يوافق الذكي، لأنه سريع الفهم، حاضر بديهية، له قدرة على الاستيعاب المعاني والألفاظ، وله قدرة على الربط والاستنتاج، أمّا الإطناب، فبلاغته تستلزم الإسهاب بالشرح، والإيضاح والتعليل، إمّا لقلّة إدراك المتلقي في فهمه، أو لإلزامه المحجة، وإقامة المحجة عليه، في حالة العناد والمكابرة³⁵.

02- أما الأمر الثاني الذي يبحث فيه علم المعاني: فهو دراسة ما يستفاد من الكلام ضمنا بمعونة القرائن، فالكلام يفيد بأصل وضعه، المعنى الأصلي، ولكنه يخرج أحيانا عن هذا الأصل، إلى معان جديدة، تفهم من السياق، وتدل عليها القرائن، وهي أغراض كثيرة، والغرض في أصل المعنى، يفيد إقما الحكم الذي تضمنه الخبر، أو إفادته بعلم الحكم. ومثاله لو قلت:

- كانت أمريكا تعطي الجزائر ضريبة على مرور سفنها في العصور الوسطى - وهذه إفادة للسامع بما لم يكن يعرفه، عن قوة الأسطول الجزائري وهيمته على البحر المتوسط. وهذا ما يسمى بفائدة الخبر.

- ولو قلت: سمعت محاضرتك التي ألقيتها في الجامعة البارحة - فهذا ليس فيه فائدة للسامع بشيء لم يعرفه، بل فيه فائدة له بأنك عالم به. وهذا ما يسمى بلزوم الفائدة.

وهذه الأغراض هي الأغراض الأصلية للخبر، لكنه قد يخرج عن هذين المعنيين ليؤدي معنى جديدا يفهم من السياق، كالفتخر والإعجاب والمدح والتأنيب والوعظ والإرشاد وغيرها. قد خرجت عن معناها الأصلي لتؤدي غرضا بلاغيا آخر يريد المتكلم. فلو قال أحد لشخص ظلمه مثلا:

- على الباغي تدور الدوائر- لفهم السامع أنه يريد التوبيخ والتأنيب وليس الإخبار.

- ولو قرأ أحد قوله تعالى: (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ)³⁶. لفهم الغرض هنا، أنه قد خرج عن معناه الأصلي، إلى معنى جديد هو الوعظ والإرشاد.

5. ونخلص في منتهى هذه الدراسة إلى أنّ أبا يعقوب السكاكي استطاع أن يقدم أمودجا مثاليا للدراسات اللغوية، من خلال ربطه بين ما انتهى إليه العلماء واللغويون السابقون وعلى رأسهم عبد القاهر الجرجاني، الذي اعتمد على كثير من مطارحاته وآراءه اللغوية. في مؤلفيه (دلائل الإعجاز) و (أسرار البلاغة)، واجتهاداته وآرائه الشخصية، التي ارتكزت على جانب الحمولي للمعاني، لأنها غاية اللغة وهدفها، وربطه بين الدراسات اللغوية والعلوم الأخرى وعلى رأسها المنطق، وذلك بغيت الوصول إلى نموذج للبلاغة العربية معسودة بالنحو والمنطق. كما أسهم في ضبط المفاهيم والحدود، وساعد على حسن التنظيم والترتيب والتبويب. فاستطاع بذلك تقديم دراسات دقيقة ومنظمة في مجال اللغة العربية. فقد أولى أهمية لدور العامل النحوي، في بيان المعنى الأصلي، وفي التراكيب الاستدلالية، ودور البلاغي متمم له، في بيان معنى المعنى. كما ذهب إلى أنّ مبنى المعنى ومستوياته التي تتكون من: الحروف والكلمات والجمل. وأنّ الدرس البلاغي يتناول الأحوال التالية:

أ- مطابقة الكلام لحال السامع: - خالي الذهن - شك - مكابر أو معاند.

ب- دراسة ما يستفاد من الكلام ضمنا بمعونة القرائن: فائدة الخبر - لازم الفائدة.

ج- أغراض أخرى تفهم من السياق من خلال القرائن.

كما قدم تفريقا بين الدلالة الوضعية والدلالة العقلية. وبين حد الحقيقة باعتبارها كلمة مستعملة فيما هي موضوعة له من غير تأويل في الوضع، بينما المجاز هو انصراف الكلمة عن ما وضعت له بقرينة تمنع إيراد معناها الحقيقي،

وهذه القرينة إما لغوية أو عقلية. وبهذا إستطاع (السكاكي) أن يضع منها صارما، للدراسات اللغوية، دون أن يقيده أو يغلق باب الاجتهاد، فكتابه (مفتاح العلوم) هو في حقيقته مفتاح لدراسة العلوم، وليس مغلاقا للاجتهاد، ولا تحجيرا للدرس اللغوي.

6. الإحالات.

- ¹ - عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال خصائصه الأسلوبية، ص 610.
- ² - المصدر نفسه، ص 611.
- ³ - سورة الزمر، الآية: 23.
- ⁴ - سورة الجن، الآية: 1.
- ⁵ - عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الحجاج في القرآن من خلال خصائصه الأسلوبية، ص 612.
- ⁶ - عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال خصائصه الأسلوبية، ص 612.
- ⁷ - عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط 1، سنة 1434هـ - 2013م، ص 74.
- ⁸ - محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي، دراسة تحليلية نقدية لنظام المعرفة في الثقافة العربية، ص 90.
- ⁹ - باديس لهويميل، دراسة المعنى في كتاب مفتاح العلوم للسكاكي - بين الوضع والإستعمال - مجلة كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر، بسكرة، العدد 12، جانفي 2013، ص 286.
- ¹⁰ - المرجع نفسه، ص 286 و 287.
- ¹¹ - يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب، مفتاح العلوم، تع: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط 2، سنة 1407 هـ - 1987 م، ص 6.
- ¹² - رضا حميدة عبد الرحيم محمد، دراسة المسائل النحوية في مفتاح العلوم للإمام السكاكي، الكتاب مصور و منشور عبر الشبكة، رابط: http://lisaanularab.blogspot.com/2015/09/blog-post_751.html، ص 19.
- ¹³ - عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص 75.
- ¹⁴ - باديس لهويميل، دراسة المعنى في كتاب مفتاح العلوم للسكاكي - بين الوضع والإستعمال -، ص 286.
- ¹⁵ - محمد العمري، البلاغة العربية أصولها و امتداداتها، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، سنة 1999م، ص 485.
- ¹⁶ - عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص 75.
- ¹⁷ - السكاكي، مفتاح العلوم، ص 438.
- ¹⁸ - المصدر نفسه، ص 438.
- ¹⁹ - نور الدين بوزناشة، الحجاج بين الدرس البلاغي العربي و الدرس اللساني الغربي، أطروحة دكتوراه، (غير مطبوع)، جامعة لمين دباغين سطيف، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية، السنة الجامعية 2015-2016. ص 379.
- ²⁰ - ملاوي صلاح الدين، تقدير الحذف والإضمار في ضوء العامل النحوي، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر. المجلد 2، العدد 2، ص 130.
- ²¹ - حسان تمام، البيان في روائع القرآن، دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط 1، سنة 1413هـ - 1993م، ص 203.
- ²² - بودانة طه الأمين، نظرية العامل النحوي في ميزان النقد العلمي المعاصر، مجلة فصل الخطاب، جامعة ابن خلدون، تيارت، الجزائر، المجلد 6، العدد 23، سبتمبر 2018م، ص 157.
- ²³ - السكاكي، مفتاح العلوم، ص 439.
- ²⁴ - المصدر نفسه، ص 440.

- ²⁵ - باديس الهويل، دراسة المعنى في كتاب مفتاح العلوم للسكاكي - بين الوضع و الإستعمال -، ص 277.
- ²⁶ - السكاكي، مفتاح العلوم، ص 358.
- ²⁷ - باديس الهويل، دراسة المعنى في كتاب مفتاح العلوم للسكاكي - بين الوضع و الإستعمال -، ص 288.
- ²⁸ - المرجع نفسه، ص 131.
- ²⁹ - السكاكي، مفتاح العلوم، ص 75.
- ³⁰ - باديس الهويل، دراسة المعنى في كتاب مفتاح العلوم للسكاكي - بين الوضع و الإستعمال -، ص 133.
- ³¹ - الجاحظ؛ عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ، البيان والتبيين، عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط 7، سنة 1418هـ - 1998م، ج 1، ص 129.
- ³² - الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي أبو بكر، دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، مطبعة المدني، مصر، (د ط ت)، ص 315.
- ³³ - أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، تح: إحسان عباس و آخرون، دار صادر، بيروت، لبنان، ط 3، سنة 1429هـ - 2008م، ج 3، ص 111.
- ³⁴ - عبد العزيز عتيق، علم المعاني، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط 1، سنة 1430هـ - 2009م، ص 37.
- ³⁵ - عبد العزيز عتيق، علم المعاني، ص 39.
- ³⁶ - سورة العنكبوت، الآية: 57.

7. المراجع.

- أرسطو، الخطابة، تح: عبد الرحمن بدوي، وزارة الثقافة، مصر، (د ط)، سنة 1959.
- أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، منشورات عويدات، بيروت، باريس، تع: خليل أحمد خليل، مج: 1 (A.G)، ط 1، سنة 2001.
- باتريك شارودو، الحجاج بين النظري و الأسلوب، تر: أحمد الورداني، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط 1، سنة 2009.
- أبو بكر العزاوي، الحجاج والمعنى الحجاجي، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 134، التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه وضوابطه، كلية الآداب بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، سنة 1427هـ - 2006م.
- جبران مسعود، الرائد، معجم لغوي عصري، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط 7، سنة 1992.
- الحجازي محمد محمود، التفسير الواضح، دار الجيل الجديد، بيروت، لبنان، ط 10، سنة 1413 هـ.
- زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، مختار الصحاح، تح: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، لبنان، ط 5، سنة 1420 هـ / 1999م.
- علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، التعريفات، تح: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، سنة 1403 هـ - 1983م.
- كريستيل بلانتان، الحجاج، تر: عبد القادر المهيري، مر: عبد الله صولة، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، ط 1، سنة 2008م.
- صابر الحباشة، التداولية والحجاج مدخل ونصوص، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، سوريا، ط 1، سنة 2008.
- فليب بروتان وجيل جوتييه، كتاب تاريخ نظريات الحجاج، تر: محمد صالح ناحي الغامدي. مكتبة النشر العلمي، جامعة الملك عبد العزيز، ط 1، سنة 1432هـ - 2011م. وكتاب نظريات الحجاج لجميل جمداوي منشورات شبكة الألوكة.
- عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات الإختلاف، الجزائر، ط 1، سنة 2003.
- عادل مصطفى، المغالطات المنطقية، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ط 1، سنة 2007م.

- علي بن اسماعيل بن سيده المرسى، المحكم والمحيط الأعظم، تح: عبد الحميد هندواوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، سنة 1421هـ - 2000م.
- عبد الرحمن بن زيدان، المسرح المغربي وإشكالية القراءة، مجلة آفاق، منشورات إتحاد الكتاب، المغرب، العدد 63، سنة 2000.
- أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب، البرهان في وجوه البيان، تح: حفي محمد شرف، مكتبة الشباب، مطبعة الرسالة، القاهرة، مصر، ط1، سنة 1389 هـ - 1969 م
- عيساوي أحمد، الإعلان من منظور إسلامي، دار كتاب الأمة، قطر، ط1، سنة 1999م.
- طه عبد الرحمن، التواصل والحجاج، مطبعة المعارف الجديدة، الدرس العاشر، سلسلة دروس افتتاحية، جامعة ابن زهر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، السنة الجامعية: 1993م - 1994م، (د ط).
- محمد الطاهر بن عاشور، أصول الإنشاء و الخطابة و يليه الخطابة عند العرب، تح: ياسر بن حامد المطيري، المؤلف المشارك: محمد محمد الخضر حسين، مكتبة دار المناهج للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ط1، سنة 1433هـ
- حبيب أعراب، الحجاج و الإستدلال الحجاجي، مجلة عالم الفكر، المجلد: 50 يونيو - سبتمبر، سنة 2001.
- حسن عماد مكاوي وليلى حسن السيد، الإتصال ونظرياته المعاصرة، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر، ط1، سنة 1998.
- محمد التومي، الجدل في القرآن الكريم فعاليته في بناء العقلية الإسلامية، شركة شهاب، الجزائر، (د ط) سنة 1980م
- محمد علي القارصي، البلاغة والحجاج من خلال نظرية المسألة لميشال مايير، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم.
- مريم الشنقيطي، الخطاب الإشهاري في النص الأدبي دراسة تداولية، دار الفیصل الثقافية، الرياض، سنة 1440.
- مقدس نورة، العلامات والدلالات في الخطاب المسرحي الجزائري، مجلة النص، جامعة الجليلي اليابس.
- الجابري محمد عابد، الخطاب العربي المعاصر، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، سنة 1982.
- السد نور الدين، الأسلوبية وتحليل الخطاب، دار هومة، الجزائر، ط1، سنة 1997.
- شولتر روبرت، السيمياء والتأويل، تر: سعيد الغانمي، المركز الثقافي، بيروت، لبنان، (د ط)، سنة 1993
- فردب ميليت، فن المسرحية، تر: صدقي خطاب، دار الثقافة، بيروت، لبنان، (د ط)، سنة 1986.
- فوكو ميشال، حفریات المعرفة، تر: سالم يفوت، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، سنة 1986.
- مانغونو دومينيك، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: محمد يحياتن، منشورات الإختلاف، الجزائر، ط1، سنة 1428هـ - 2008م.
- نعمان بوقرة، لسانيات الخطاب مباحث في التأسيس والإجراء، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، سنة 2012.
- يسين السيد، بحثنا عن هوية جديدة للعلوم الاجتماعية في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، سنة 1986.
- El Djouhior Khalef. De la sémiotique du Discours publicitaire. Synergies. Alger 2011. N13. -
- Philip Katier, Marketing Management, Pearson Education 13^{ème} Edition, France. - 2009.p637.
- Chaim Perelman et Lucie Olbrechts Tyteca , traite de l'Argumentation, Editions de - l'université de Bruxelles, Belgique, 6 Edition, 2008.
- 1982. Michel. Meyer. Logique. Langage et argumentation. op. cu.

Chaim Perelman et Lucie Olbrechts Tyteca , traite de l'Argumentation, Editions de –
l'université de Bruxelles,Belgique,6 Edition, 2008.
. 1989, paris:dictionnaire de la langue française Le Grand Robert, **Paul Robert–**
Petit Larousse. Librairie larousse. 17 rue du montparnasse 114 paris VIe. mai 1980. -
Cambridge Advanced learners , dictionary Cambridge University press , 2nd pub -
2004.